

مدى ملائمة الشكل العمراني للقرى التقليدية في مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة العربية السعودية لاحتياجات السكان

الأستاذ الدكتور: محمد عبدالله بن صالح



مدى ملائمة الشكل العمراني للقرى التقليدية في مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة العربية السعودية لاحتياجات السكان

أ.د. محمد عبدالله بن صالح*

الملخص:

إن دراسة الأنماط الأصلية للعمارة في المملكة العربية السعودية وما يرتبط بها من عناصر عمرانية ومعمارية ولمسات فنية وزخرفية مسألة حيوية وضرورية في الوقت الحالي. إذ إن التراجع المستمر للعمارة المحلية التقليدية أمام المدّ القادم من الغرب لابد وأن يدعو المماريين والباحثين في مجال العمارة إلى التمهّل وإعادة النظر في موقفهم من التراث المعماري المحلي. فلا يقتصر الأمر على مجرد الدراسة التسجيلية، بهدف توثيق ذلك التراث الغني المعرّض للضياع مع الزمن؛ بل يجب السعي إلى استيعابه وفهمه وإدراك المعاني الكامنة في تراكيبه وأشكاله الفنية، من أجل محاولة الاستفادة منها والوصول إلى صياغة معاصرة لها في مواجهة التيار الجارف للتيارات العمرانية والمعمارية الوافدة.

من هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يتناول بالتحليل الشكل العمراني التقليدي للعناصر العمرانية والمعمارية في القرى التقليدية في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية كمحاورة بين فن العمارة واحتياج الإنسان.

تحاول هذه الدراسة فهم النمط والتكوين العمراني للقرية التقليدية وتحري الأسباب الكامنة وراء ذلك التكوين والحاجة ماسة إلى مثل هذه الدراسات التي لم يتطرق إليها أحد لصعوبتها وتعقيدها. وكونها ثقافية تجعل من الصعوبة تلمس دقائق التراث وتفهم التاريخ إلا من قبل المتخصصين والمهتمين بهذا المجال.

(*) أستاذ العمارة وعلوم البناء، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

شكر وتقدير: يتقدم الباحث بالشكر والتقدير للأهالي والمسؤولين في كل من قرية آل الخلف وقرية آل ينفع وقرية العكاس وقرى المداد وقرية الملد وقرية ذي عين وقرية الحجر على مد يد العون وحسن الضيافة والوفادة طيلة تواجده بين ظهرانيهم. كما يتقدم بالشكر الجزيل إلى المسؤولين في بلدية أبها وبلدية سراة عبيدة وبلدية الباحة لموافاتهم الباحث ما يلزم من مخططات وصور جوية عنّها الباحث من أساسيات البحث كما يتقدم الباحث بالشكر الجزيل للمراجعين أثناء فترة التحكيم والتي كان للمحوظاتهم الأثر الكبير في تحسين البحث.

المقدمة:

تواجه عمارة الطين والحجر التقليدية نوعاً من الاحتضار في مناطق كثيرة من العالم. فقد شيدت من تراب الأرض وأحجارها وإليها تعود. ولقد برهن كثير من الباحثين على أن السكان الأوائل للمستوطنات البشرية كانوا قادرين على التكيف مع الطبيعة والاستجابة لها والتفاعل معها بطرق شتى نسيها معظمنا. على شكل^(١-٤).

يتفق الاستيطان السكاني في معظم أجزاء العالم الإسلامي مع احتياج المسلمين ومتطلباتهم الدينية والاقتصادية والأمنية والبيئية. وقد اتفق المؤرخون على تشكل ثلاثة نماذج عمرانية مميزة ضمن الأطر والتقاليد الإسلامية، وهي نموذج المدينة المجددة لما قبل الإسلام (مثل دمشق)، ونموذج المدينة المخططة والمصممة (مثل الكوفة) ثم النموذج العمراني التلقائي العفوي المتدرج في نشأته ونموه.^(٥) وتعكس متانة التخطيط والتصميم في النموذج التلقائي براعة المسلم في خلق بيئة عمرانية متوازنة ومستدامة. فرغم أقدميتها فإن الطريقة التي خطت بها المباني لتلبي نشاطات واحتياجات الإنسان، قد قامت بتقديم نسق المجتمع الإسلامي الموحد على اختلاف بيئاته الطبيعية واجناسه. ولا شك أن القرى التقليدية في جنوب غرب المملكة تعد تعبيراً للنموذج الثالث (الأشكال: ١، ٢).

لقد كانت جميع القرارات الخاصة بنشأة ونمو المدن في البلدان الإسلامية تتم وفق مبادئ وقيم وأخلاقيات الشريعة الإسلامية والأعراف والتقاليد الاجتماعية والأطر والمعايير الثقافية السائدة، إلا أن تلك القرارات كانت تصاغ ضمن إطار من المعايير التصميمية والعلاقات التنظيمية التخطيطية المعترف بها.^(٦) فغالبية أنماط العمران التقليدي تتحدد وفق اعتبارات تصميمية معينة يضعها المخططون والمصممون والبناءون وصانعو القرار في اعتبارهم لتحديد النمط العمراني مثل: المحيط العام، استجابة المخطط للاحتياجات الاجتماعية والثقافية، استجابة المباني للعوامل المناخية والنواحي الأمنية، والمظهر العام للقرية، والحجم وعلاقته بالمقياس الإنساني، والتعامل مع الأحوال الطبيعية السائدة.^(٧)

من المعلوم أن للتضاريس والتربة وموارد المياه دورها في نشأة الاستيطان السكاني وتشكيله للقرى بجنوب غرب المملكة، فتضاريس القمة (للجبل) أو التبة (للأرض المستوية) التي تقع عليها هذه القرى لا يمكن إنكار أثرها في ظهور الأشكال

الاستيطانية. فالتضاريس المنبسطة في شمال قرية آل الخلف (١٠٦ كلم جنوب شرق أبها) مثلاً شجعت على الاستيطان المركز والمتراص بين المباني في حين تناثرت المباني في جنوب القرية حيث المكان أكثر وعورة. كما أن تضاريس جبل الملد التي تقع على قمته قرية الملد (١٠ كلم جنوب مدينة الباحة) أُمِلَتْ على السكان تصميم مساكنهم على المنحدرات بحيث إن المبنى الواحد عبارة عن ثلاثة أدوار مدرجة الشكل، وكل دور عبارة عن مسكن مستقل بذاته (الأشكال: ٦-٣).

والعمارة على العموم مرآة تعكس شخصية الإنسان المحلي، وطبيعة بلاده وتراثه الحضاري والأخلاقي.^(٨) فالإنسان يحاول أن يوفر جواً صحياً مريحاً للنفس والجسد من خلال توظيف قدراته الحسية وإمكاناته المادية والبيئية. ولأن التراث الأخلاقي العربي الإسلامي يراعي التوازن بين الروح والمادة فإنه يسخر كل شيء بما في ذلك العمارة والاقتصاد في خدمة الإنسان وسعادته الروحية والجسدية، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.^(٩) وهذا بعكس المدنية الحديثة التي تعتمد على سيادة المادة على الروح، بحيث يتجه الإنسان والعمارة لخدمة الاقتصاد عن طريق الآلة.

يعكس العمران في القرى التقليدية على جبال السروات الدوافع الاجتماعية والثقافية للمجتمع. ويستطيع المرء أن يستدل منها على وجود خمس قيم أساسية كان لها دورها المهم في تشكيل البيئة العمرانية هناك وهي: احترام البناء الاجتماعي، والحفاظ على الهرمية الاجتماعية وتعزيز أهمية النسق العائلي والقربى وتكوين بيئة شاملة، والإفادة الكاملة من الإمكانات الطبيعية وتذليل العقبات وتحويلها إلى مقومات.

وتكمن المشكلة في أن هناك افتقاراً في المعلومات الموثقة حول مبادئ التخطيط والتصميم التي كان لها تأثير على إعداد مخطط القرية. كما يوجد هناك شيء من الغموض حيال فهم وإدراك الشكل والنسيج البنائي المتأثر بالبيئة الطبيعية والاجتماعية والسياسية وملامحها الطبيعية ومعاييرها الثقافية وتركيباتها الاجتماعية ووضعها السياسي.

لا تزال العمارة التقليدية والتراث العمراني محل اهتمام كثير من الباحثين المسلمين وغيرهم منذ بداية القرن العشرين، وقد تأثرت كثير من مدن العالم

الإسلامية بالمفاهيم والنظم السياسية والإقتصادية التي تحكم المدن الغربية وما زالت تسير في هذا الإتجاه.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الشكل العمراني التقليدي وتحليله في قرى جنوب غرب المملكة العربية السعودية للإستفادة منها في الخروج ببعض التوجيهات التي تساعد في تطوير تكوينات عمرانية معاصرة.

وتبرز أهمية البحث في أنه يقدم معلومات تفصيلية عن التراث المعماري والعمراني الإسلامي بتوظيف نماذج حية لمستوطنات بجنوب غرب المملكة، في الوقت الذي ركزت فيه معظم الدراسات المتوفرة على محاولة التوصل إلى نماذج نظرية بحثة مستشفة من تعاليم الشرع الإسلامي.^(٨،٧) كما ركز بعض الباحثين على دراسة بيئات عمرانية محددة ومفصلة منها على سبيل المثال دراسة الهذلول عن المدينة المنورة ودراسة حكيم عن تونس ودراسة بيانكا عن فاس.^(١٠،٦،٥)

إن مسألة تحقيق هدف هذه الدراسة المتمثل في أخذ العبر والدروس من النماذج الحية لا يمكن القيام به دون قراءة مستفيضة للنماذج النظرية أو البيئات المحددة سابقة الذكر. ويمكن الوصول إلى ذلك بتحليل العوامل المؤثرة في نشأة القرى كالسلطة المحلية والمناخ والدفاع، والعناصر الأساسية لتكوين القرية كالمسجد والسوق والمعشر والأحياء السكنية والمقابر والمزارع، وتحديد دور كل منها وعلاقتها المتداخلة والمتبادلة في تشكيل النسيج العمراني للقرية.

منهجية البحث:

استند هذا البحث على منهج وصفي حقلي لتحقيق هدف البحث المتمثل في تفسير التراث العمراني والمعماري المحلي ومدلولاته الإسلامية موظفاً التمثيل العمراني والمعماري لمكونات القرية، جامعاً المعلومات الضرورية عن طريق الزيارات المتعددة وتسجيل ما يمكن ملاحظته عن تلك المكونات ومن ثم وصفها وصفاً مفصلاً، وتحليلها تحليلاً كيفياً موضحاً الأدلة والبراهين التي يستدل بها عند وصفها.

بدأت الدراسة بأعمال المسح الميدانية لكثير من القرى في مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة ابتداءً من قرية آل الخلف في عام ١٤١٠ هـ واستمراراً لقرى آل ينفع والعكاس والمداد والملد وذى عين والحجرة تم خلالها الوقوف على كثير من

المؤثرات على تكوينها العمراني والمعماري مع التعرف على الأسس التخطيطية التي قامت عليها (الشكل-١).

واستخدم أسلوب التمثيل العمراني والمعماري لمكونات القرية المستند إلى وثائق التفصيلات البنيوية والشكلية للمباني والطرق والفراغات المفتوحة والتي تم رفعها من الطبيعة وذلك لأغراض وصف الشكل العمراني التقليدي للقرية، واستنباط القواعد والأصول الهندسية والتركيبية، وكذا معرفة مواد الإنشاء وأساليب البناء التي استخدمت في تنظيم المكونات البنائية التقليدية لتلك القرى. وبتطبيق هذه المنهجية يمكن أن يستنبط نموذج موحد لتصميم وتخطيط القرية في منطقة الدراسة، وكذلك تحقيق هدفها الأساسي المتمثل في إستخلاص الدروس والعبر التي يمكن أن تفيد المخططين والمعماريين، وتعينهم على حل كثير من مشاكلهم العمرانية والمعمارية وتقلل الآثار الجارفة للعمارة الغربية.

الشكل العمراني ومكونات القرية:

يمكن التعرف على مدلولات الشكل العمراني من خلال الإدراك الحسي للفراغ والشكل العمراني المحيط به، وذلك من خلال التجوال في فراغات القرية ومكوناتها ومسائلة السكان عن كنه التشكيل البنائي، وكذلك من فحص الأشكال والصور المضمنة في هذه الدراسة. ويكون الإدراك الحسي لعناصر البيئة الطبيعية أكثر تجانساً لدى سكان القرية من الزائر لأول وهلة. كما أن تنوع أشكال المباني في القرية يعد بمثابة لغة بصرية تخصص لكل تركيبة عمرانية ومعمارية مفردة خاصة بها.

فعندما يقوم المخطط والمصمم بتحقيق تفاعل عضوي بين الشكل العمراني للقرية ومحيطها البيئي ينتج عنه نسيج عمراني فريد من نوعه لهذه القرية التقليدية كما يشعر المشاهد بدفء وبراعة تصميم وتنفيذ مفرداتها العمرانية.

لقد كان للعوامل الجغرافية (كاختيار الموضع ونمط المناخ) والتشكيل الجيولوجي السطحي (من ناحية نوعية ولون التربة والصخور المحيطة) تأثيرهما الواضح على الشكل العمراني وتوزيع الأنشطة البشرية للقرية في جنوب غرب المملكة، حيث يتم اختيار المواضع المناسبة ذات الطبيعة الدفاعية من اعتداء البشر والحماية من العوامل الطبيعية مثل الأمطار أو الرياح. فنرى أن ألوان الأرض سواءً

كانت طينية أم صخرية تصبغ ألوان المباني بصبغتها، كما أن الشكل العمراني المتضام والمدعم بالقصبات أو الحصون المتعددة الأدوار يؤكد على التشكيل الدفاعي للقرية. أما تأثير المناخ فيتضح من ناحية توجيه شرفات ونوافذ المباني البرجية في اتجاه الرياح الطبيعية وكذلك من استخدام أحجار الرقف في المعالجات للجدران والفتحات لتفادي تأثير نحر الأمطار. وتمثل هذه العوامل القاعدة الأساسية للتصميم العمراني التقليدي في تقدير للواقع الذي تشيد إليه المستوطنة والبيئة المحلية الذي يؤكد على علاقات مجالية مع غيرها وجميعها تؤكد معاً التفاعل والاستجابة لاحتياجات السكان الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والوظيفية.

ويوضح أي مخطط لاي قرية في مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة كيف تشكلت بنيتها العمرانية من أحياء سكنية تتكون من مبان متراسة بجانب بعضها بعضاً حول ساحات (المرحب وهو المكان الذي يرحب فيه سكان القرية بالضيوف القادمين عليهم أو لإقامة السوق الأسبوعي) ومباني عامة مثل المساجد وبيت المال والمقابر، وترتبط جميعاً بأزقة ضيقة وساباطات (الشكل-٧). وتعتبر أدق يمكن القول بأن القرية تتألف من دروب وممرات عبر تجمعات المباني. ويسير تنظيم الحركة والفراغات في القرية وفق مبادئ واتجاهات اجتماعية عملت على تحديد مواقع العناصر الرئيسية حسب علاقة كل عنصر بالآخر وخصوصاً بالحركة. فنجد أن الساحات العامة سواء كانت لتجمع سكان القرية أو احتفالاتهم أو استقبال ضيوفهم أو كساحة سوق أسبوعي غالباً ما تكون بالقرب من المسجد الجامع، وتتميز بسهولة الوصول إليها من خارج القرية. وغالباً ما تكون تلك الساحة هي المحل الهندسي للقرية حيث تشترك جميع أحيائها في الوصول إليها دون اختراق أحياء أخرى.

العوامل الكامنة في تشكيل القرية:

ذكرنا فيما سبق تأثير بعض العوامل الطبيعية مثل الموضع والمناخ والتشكيل الجيولوجي على التشكيل المنظور للقرية، وهنا نذكر بعض العوامل غير المنظورة والتي لها تأثير كبير على تشكيل القرية الفراغي. من أهم العوامل الكامنة في تشكيل القرية في جنوب غرب المملكة نجد ما يلي:-

١ - السلطة المحلية بالقرية:

السلطة المحلية ممثلة بمجلس القرية وشيخها أو نائبه وهو ممثل القرية لدى شيخ القبيلة والتي من مهامها الأساسية تأسيس قواعد وإجراءات إدارية وتخطيطية وتمويلية كانت سائدة في الفترة التي سبقت تأسيس المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١ هـ. لقد وضع التنظيم للسلطة الإدارية في تدرج هرمي حيث يتم تأسيس مجلس للقرية مكون من عدد من الأفراد (ممثلي البدن)، ويقوم بمعاونتهم قبلاء للقرية يمثلون دور المحتسب أو النظراء في بعض المجتمعات الإسلامية. كما أن شيخ القرية أو نائب القرية يقوم بتعيين أمين لبית المال ومُدوّل يتولى مهمة توزيع الضيوف على سكان القرية. وهؤلاء جميعاً يرجعون في اتخاذهم للقرار إلى شيخ القرية أو نائبه. وبذلك تشكلت في القرية وحدة إدارية وتمويلية مستقلة ضمن منظومة اتحاد قبلي (قبيلة ضمن قبائل)، ويقوم نواب البدن والقبلاء بتنفيذ سياسات التخطيط التي يضعها مجلس القرية ضمن القواعد والإجراءات المتفق عليها وتحصيل الرسوم (العشور) والغرامات وتحويلها إلى نقود يتم إيداعها في بيت المال، ويتم الصرف منها على شئون القرية الداخلية والخارجية. كما أن القبلاء يتولون عملية الصرف على شئون القرية المدنية بناءً على معرفة الشيخ أو النائب.

وينعكس دور الفرد هنا بطريقة أو بأخرى حسب الجماعة التي ينتمي إليها. ففي حالة القرية يكون شيخ أو نائب القرية هو الممثل لوجهات نظر الجماعة في اجتماعات القبيلة في مجلس القبيلة الأم، بينما عضو مجلس القرية يعد الممثل لوجهات نظر بدنته (جماعته المصغرة) في مجلس القرية، ورب الأسرة الممثل لوجهة نظر أسرته. ويظهر أن السيادة في عملية صنع القرار الخاص بتكوين النمط العمراني للمساكن وللمباني العامة كانت متروكة لشيخ القرية أو نائبه ومجلس القرية ويتولى القبلاء مساعدتهم عند الحاجة، في حين ترك أمر تشكيل المبنى من الخارج والداخل لمعلم المعمار وللمالك وربة البيت.

كانت لجميع العناصر العمرانية في القرية قوتها الخاصة التي عملت على إبرازها، فالمظهر العام للمباني متسم بالاتساق والتماثل من حيث استخدامه للمواد الإنشائية وأساليب البناء والتفصيلات المعمارية. وقد جاء الشكل العمراني الحالي

لكثير من القرى متفقاً مع أنشطة وتقاليد السكان ومستجيباً للظروف والأوضاع المحلية خاصة أمور الدفاع والمناخ، كما كانت الدروب المؤدية إلى المزارع واضحة في نظام الحركة بالقرية إذ عملت على تحديد نمط واضح للحركة بين الداخل والخارج وكل ذلك تأثر بالقيم الاجتماعية وفن العمارة .

٢- القيم الاجتماعية:

لقد كان إسهام القيم الاجتماعية والثقافية والمحددات الاقتصادية والاحتياجات الدفاعية واضحاً في نشأة القرية ونموها. وعلى سبيل المثال يرى رابو بورت أن التراث والعمارة عنصران متكافئان.^(١١) وقد جاءت العمارة المحلية في المجتمعات الإسلامية ممثلة للمتغيرات والثوابت: فالمتغيرات هنا تشمل جميع نظم التشييد ومواد البناء والتقنية في حين تقتصر الثوابت على المثل والقيم الدينية والاجتماعية. وبتفاعل واندماج الثوابت والمتغيرات معاً في المجتمع الواحد تتشكل عمارة إنسانية تحمل طابع الاستمرارية.^(١٢) وتشكل القيم الاجتماعية عاملاً مهماً في بناء التراث المعماري، أما المفاهيم والأشكال والأطر الدخيلة فلا تمثل منطلقاً سليماً للبيئة عمرانية معاصرة قادرة على إعادة الإحساس بالماضي.^(١٣) لقد تكونت القرية التقليدية في مرتفعات جنوب غرب المملكة كنتاج لائتلاف نماذج المباني والعناصر التنظيمية غير المرئية لتشمل فيما بعد المكونات الأساسية للاستيطان البشري.

٣- فن العمارة:

تطور فن العمارة التقليدية في البيئات الطبيعية التي يتوفر فيها الطين أو الخشب أو الحجر أو كل هذه المواد ليجمع بين الفن المحلي والتقنية. وبالنسبة لتقنية البناء فقد عرّفها أبو غزة " بأنها ذلك الشكل من النشاط الحضاري يكرس لإنتاج وتطوير وتحويل أساليب البناء وتفصيلاته إلى أشكال عمرانية، حيث قام الإنسان ببيدته بإيجاد الأنظمة الإجرائية الضرورية والقواعد التنفيذية".^(١٤) وفي المجتمعات التقليدية كان للبيئة الطبيعية دائماً تأثيرها من حيث ضرورة تطبيق تقنية بعينها دون أخرى ضماناً لنجاح واستمرارية البناء.

ففي مرتفعات جبال السروات حيث تهطل الأمطار بصفة موسمية وبكثرة نسبة إلى وسط شبه الجزيرة العربية والتي تتصف بالجفاف، استخدم الإنسان هناك الحجر في المناطق شمال أبها حتى حدود الطائف، والطين جنوب أبها إلى حدود اليمن في تشييد مسكنه وذلك لندرة مادة الطين في الشمال وتوفرها في المناطق جنوب أبها، وقد تميز البناء بالطين بالسهولة مقارنة بالحجر وذلك لكونه مادة مرنة سهلة التشكيل. وقد قام السكان في مرتفعات السروات على مر العصور باستخدام الحجر أو الطين في تشييد مساكنهم ومبانيهم العامة، وطوروا تقنياتها لمقاومة العوامل البيئية من أمطار ورياح وحرارة.

ورغم أن المعدات اللازمة لقطع الحجر كانت بدائية فإن ذلك لم يحل دون تشييد المساكن والمباني العامة بكاملها من الحجر كما في المناطق شمال أبها ومنطقة الباحة حتى حدود الطائف، واقتصرت استخدام الطين على بعض أعمال التسقيف، أما المناطق التي ساد فيها استخدام الطين فإن البناء بالحجر اقتصر على المساجد فقط^(١٥) وأجزاء من جدران الدور الأرضي للمنازل والقصبات. وقد كثر استخدام حجارة الرقف (رقائق الأحجار البارزة على أسطح الجدران الخارجية للمباني الطينية) في المناطق التي تكثر فيها الأمطار وتتصف تربتها بعدم التماسك، فقد عمد مهرة البناء إلى استخدام الرقف، حيث كانت توضع مع ميل خفيف نحو الخارج بين مداмик الطين للحيلولة دون وصول مياه الأمطار إلى جدران الطين وتعريضها. ويعد استخدام هذا النوع من تقنية البناء مع الطين بهذا الشكل نسقاً معمارياً مميزاً للعمارة التقليدية بالأجزاء الجنوبية من منطقة عسير ميزها عن غيرها بين بلاد العالم وهو ما توضحه الصور (شكل - ٨).

كان البناء يتم عادة تعاونياً بين أهل القرية ماعدا أعمال النجارة الخاصة بالأبواب والنوافذ فيتم المقاوله عليها.^(١٦) تبدأ أعمال البناء بإنشاء جدار حجري حامل للدور الأرضي يلي ذلك بناء الجدران للأدوار العليا إما من الحجر وإما من مداмик مستمرة من طبقات الطين (الخلب)، وفي المناطق التي يسود فيها استخدام الطين يوضع حجر رقف بين كل مداك وآخر (شكل - ٩). وفي معظم المباني يكون نصف جدران الدور الأرضي مشيداً من الحجر لدرء مخاطر محاولة هدم الجدران

الطيني من أي معتدٍ، وكذلك لمنع الانجراف من جراء مياه الأمطار السطحية، حيث يصعب على الماء الجاري اختراق الجدران الحجرية. أما التقسيمات الداخلية للفراغات فمستطيلة الشكل ويتراوح عرض الفراغات فيها بين ٢,٥ متر إلى ستة أمتار. ويستعان أحياناً بأعمدة من الخشب داخل الفراغ تسمى مرزح أو سطات للتخفيف من حدة البحر (المسافة) العريض، حيث يتم وضع جسور خشبية تسمى معادل فوق رأس العمود، وتتعامد معها سوارى خشبية أقل منها سماكة، ويفرش فوقها بُسُط من نبات الحلفاء أو نباتات ذات سيقان طويلة (شكل - ١٠). وتوضع الودفة فوق البسط وهي طبقة من الطين المعالج والمختار بعناية وذلك لضمان عدم تسرب مياه الأمطار من أسطح المباني الى الداخل.

يلاحظ المشاهد أن الألوان في المبنى متعددة، وذلك لتنوع المواد الإنشائية المستخدمة، فالحجر لونه وردي أو أسود، والطين بني اللون وحجارة الرقف سوداء. والحجارة المستخدمة للدور الأرضي في المباني الطينية ذات لون بني فاتح أو أبيض، إضافة إلى دهان ألوان على المداكين المتزامنين مع النوافذ الخشبية التي تزان بألوان زاهية هندسية ذات أشكال مثلثة أو مربعة أو معينة الشكل (شكل: ١١ - ١٣). ويستخدم التثمين حول النوافذ في المباني الحجرية وهو من حجر المرو الأبيض لتمييزها عن الجدار الحجري المصمت (شكل - ١٣). وغالباً ما تقتصر الفتحات الخارجية على مستوى الدور الأرضي على الأبواب والنوافذ المربعة. وغالباً ما تقوم مدايك الطين بتحديد ارتفاع النافذة ذات الضلفتين في الأدوار العليا.

يتميز فن العمارة التقليدي بالمنطقة الجنوبية الغربية في المملكة العربية السعودية بالبساطة والعفوية مقارنة بالعمارة الحديثة المدروسة بعناية. والبساطة هنا لا تعني السطحية، بل تعني أن الخطوط واللمسات المعمارية واضحة وصریحة، خالية من التعقيد والتكلف والبهرجة المصطنعة، وبالنسب الجمالية المعمارية التي تتصف بالتوازن والتناسق وهذا هو سر جمالها.

النظرية العمرانية: مقدمات لدراسة الشكل العمراني والمعماري

تتيح هذه الدراسة معرفة الأنماط الأصلية للعمارة في مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة العربية السعودية، وما يرتبط بها من عناصر عمرانية

ومعمارية ولمسات فنية وزخرفية. فالنظرية العمرانية التي يمكن الخلوص إليها من جراء استيعاب التراث العمراني وفهمه وإدراك المعاني الكامنة في تراكيبه وأشكاله الفنية هي ارتباط التشكيلات العمرانية بالأغراض التي أنشئت من أجلها سواءاً كانت وظيفية أم جمالية.

فلو فرغ المرء العمارة الاستيطانية من علاقتها بالغرض لأصبح تصميم المدن والقرى مجرد فنٍّ للأشكال العمرانية. إن دراسة الفراغات المفتوحة والمباني العامة والسكنية وعمارة البيئة المحيطة بها هنا تتعدى تفسيرات المظهر والشكل والنواحي الهندسية. وهذا ما يدركه المرء أثناء التجوال في قرية تقليدية أو حولها مثل قرية المد أو العكاس أو آل ينفع أو آل الخلف، حيث يمكن للمعماري الدارس أن يتبين وحدة المباني واتساقها واكتمالها وذلك عند إلقاء الضوء على عمليات ومبادئ وقواعد تشكيل الفراغات والمباني العامة والمسكن التقليدية والمحيط بها في القرية والتوزيع العمراني وعلاقة ذلك بحياة وتركيبه المجتمع.

يلاحظ في ذلك أن البنية العامة للقرية وأشكال البناء فيها والنسق العمراني والبيئي لمحيط القرية تلتقي كلها في انسجام تام يعكس الخصائص والسمات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للسكان. يشاهد هناك ترتيب دقيق ومعقد للعناصر العمرانية والمعمارية فيه فصل وربط للناس وخصوصية ذاتية للسكان توضحه مظاهر عمرانية ومعمارية. وينطوي ذلك على مفاهيم قيمة مناسبة لتصميم وتخطيط بيئات عمرانية جديدة. لقد قدم لنا سكان القرى المدروسة حقاً نموذجاً طيباً وفريداً من نوعه لتخطيط وتصميم البيئة العمرانية ضمن الموارد المتاحة.

لقد أثبت نموذج التصميم العمراني التقليدي في كثير من الحالات قدرته على التفاعل مع الأوضاع والأحوال المحلية والاستجابة لمتطلباتها واحتياجاتها إلا أن الأوضاع المعيشية الحاضرة وخاصة بعد إدخال السيارة كوسيلة مواصلات قد استدعت تنظيماً مختلفاً للبيئة العمرانية، إذ لم يبق للأشكال العمرانية للمباني التقليدية برغم جمالياتها البصرية، في أفضل الأحوال، سوى إعلامنا عن كينونتها وهويتها في مكان وزمن ما.^(١٧) لقد اقتصرحت محاولات كثير من المهتمين بالعمارة والعمران الحضري على مجرد تكييف أشكال البناء التقليدية دون وعي وفهم

للمحيط الاجتماعي والثقافي الذي نشأت وتطورت فيه، حيث تظهر أهمية تأثير العوامل الاجتماعية وعلاقات القربى والتركيبية الأسرية على عمليات تنظيم واستخدام الفراغ الداخلي والخارجي.

يعتمد تصميم الشكل البنائي في القرية على قواعد قوية لا تبدو للمشاهد هندسية لكنها تنطلق من منطلق فكري يضع في اعتباره الاحتياجات، ويتعامل مع المتغيرات، ويخضع للتأويلات المتعددة للعمارة التقليدية.^(١٨) مثل هذا المنطلق لا يقتصر على تفاعل العوامل الاجتماعية والطبيعية والإنسانية الفردية وجزئياتها بل يشمل حسن استخدامات الأرض والتكوين الفراغي للمباني.

فالنظرية العمرانية التي تنادي بها هذه الورقة ليست تقليد النسيج العمراني الماضي ومحاكاته، وإنما العمل على صياغة مفاهيم وأفكار ودروس منه. فمن خلال الوعي التام والإدراك الواضح للمناهج والمؤسسات التقليدية التي استخدمها وكيفها واختبرها الأسلاف، ونجحوا في تحديدهم لمواردهم المحدودة والطبيعة القاسية يمكن وضع أسس لمثل هذه النظرية.^(١٩)

إن التكوين العضوي للفراغات والممرات المتعرجة في القرية يعمل على إثراء بحث أسلوب التصميم العمراني التقليدي والذي يعزز بدوره من الإحساس بشخصية البيئة التقليدية . ويطغى مثل هذا الإحساس على المرء لو نظر إلى ذلك التكوين العضوي للقرية من الجو، ويغمره هذا الإحساس أثناء التجوال في الطرقات والممرات والأزقة الداخلية ذات الساباطات (الممرات المسقوفة) الضيقة المتعرجة. وقد يستنتج من هذا التجوال أن التتابع الفراغي والبصري لم يكن عشوائياً، وإنما تم بفعل سلسلة قرارات تخطيطية وتصميمية منطقية اتخذها السكان والبناءون ومجلس القرية لتشكيل بيئتهم العمرانية .

فعندما يكون تصميم الفراغ متسقاً مع التخطيط العضوي للقرية، تكون محصلة ذلك تحقيق هيكل عمراني يتميز بنسق منطقي بين الفراغات الخاصة (فراغات داخل حدود ملكية الأسرة) وشبه الخاصة (فراغات تشترك فيها مجموعة من الأسر) والعامّة (فراغات يشترك فيها جميع سكان القرية). وتوضح مخططات القرية أن ذلك لم يكن عشوائياً حيث إن كثيراً من تلك الفراغات لم يكن غامضاً بل كان لكل منها استخداماً ووظيفته الرئيسية المحددة. ويعمل تشكيل الفراغات على

تكوين علاقات حسية جمالية بين الإنسان والفراغ أثناء انتقاله في تتابع فراغي منطقي ضمن المحيط العمراني للقرية. وقد أدى التطابق في استعمالات الأراضي وتناسقها مع شبكة حركة المشاة إلى الاستخدام الاعتيادي للمكان والتآلف معه. ويُنظرُ إلى التكوين الداخلي للأحياء السكنية في القرية كانعكاس لتركيبية اجتماعية ومتطلبات دينية وثقافية وسياسية، فالأحياء السكنية والمنازل والمزارع من حيث علاقة الواحد بالآخر يمكن في كثير من الحالات أن تستغل لدواعي أمنية وتعزيز نسق القربى. ويتضح ذلك في تصرف مؤسس القرية الذي يشيد المسجد - نواة القرية - وحوله منزله وقصبة أو حصن لحماية النشأة المبكرة للقرية والدفاع عنها. وهذا بدوره يشكل نواة العمارة الإسلامية.

فالعمرارة الإسلامية عمارة وظيفية تستخدم المواد الإنشائية المحلية وتصوغها لتلبية احتياجات المسلم، وتخلو من الأساليب الفنية كالتماثيل أو طرز العمارة الكلاسيكية (اليونانية والرومانية). لهذا جاءت الواجهات والأشكال مطلقة ومتمشية مع قاعدة الشكل يتبع الوظيفة ومتسمة بالابتكار. فالتكوينات العمرانية والأشكال المعمارية للعمارة الإسلامية المتميزة جعلتها وما تزال إحدى تحف العمارة العالمية التي تتبع في تصميمها تحقيق الوظيفة وتأمين الراحة بشكل بسيط وجميل بما يتفق وتعاليم الشريعة الإسلامية.^(٢٠) فإلساحات وواجهات المباني والتصميمات الداخلية تخلو من الصور والمجسمات ذات الأرواح، كما أن الفتحات لا تكشف حرمة الجار.

يقررونثال أن الطراز العربي العمراني والمعماري أكثر ملاءمة (للغرب) من أي طراز آخر، لأن روح العصر تجد تعبيرها في التكوينات العمرانية لمثل هذا الطراز، لكنه له نقيصة واحدة تحول دون التوصية باعتماده بشكل عام. وتتمثل هذه النقيصة في تجاهله للتعبير الرمزي للقوى التركيبية.^(٢١) ولونظررونثال إلى قرى جنوب غرب المملكة فقد يغير من وجهة نظره، حيث الشكل العمراني للقرية يقدم عمارة استيطانية دفاعية، فتركيبية المسجد والقصبة ضمن النسيج العمراني للقرية تعبير رمزي للدين وللقوة والاستعداد والحذر من قبل المجتمع. أما تعبير تأثير القوى الطبيعية من رياح ومطر تعكسه قوى رأسية متمثلة في تعددية أدوار المباني السكنية والقصبات. فالقوى الطبيعية تمارس تأثيرها على البناء العالي الذي يظل

شامخاً يتحدى تلك القوى على مر العصور. ومن الشواهد أنه كان يتم بناء الحوائط المائلة من المداميك الطينية، ويوضع الرقف (رقائق الحجارة) بين المداميك بكامل طول الحائط لتبرز نحو الخارج حامية الجدار من ظروف المناخ والتعرية بالأمطار والرياح، بينما الحوائط الحجرية تلتزم بالميلول لكنها تفتقر إلى وجود الرقف.

فالنظرية العمرانية يمكن استخلاصها من التصميم العمراني للقرية. فالقرية عبارة عن تجمع متجانس ومدمج من المباني والنشاطات البشرية نابع من البيئة والاحتياجات الإنسانية، تتفاعل معها، وتستجيب لها، وتتهدى فيها الألحان الفراغية بتدرج ثلاثي الأبعاد عامرة بالألفة والرفعة والسكينة.

المحاورة بين فن العمارة واحتياجات السكان:

تتمثل العلاقة بين الفراغ والزمن في الجدول والحوار بين شكل البناء والعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والمناخية، وبين الاستمرارية والتغير، وكذلك بين الثبات والمرونة. (٢٢)

لقد تطورت معظم الأشكال العمرانية والمعمارية والزخرفية بجنوب غرب المملكة نتيجة لمؤثرات واتجاهات محلية أدت إلى ظهور مفاهيم عمرانية إقليمية. فالعمارة العربية بمناطق مجاورة لمنطقة الدراسة لم تكن بدائية، فسد مأرب وعمارة اليمن يدحضان مثل هذه المقولة. (٢٣) ويرى "ميلز" أن أية محاولة من جانب المعماريين لتصميم بيئات عمرانية أفضل لا يأتي بفهم سطحي للشكل المتوارث في البيئة العمرانية وهذا بنظره قد يؤدي إلى حلول غير منطقية. (٢٤)

تخبرنا أساليب التخطيط والبناء والتشييد والزخرفة للقرى التقليدية بجنوب غرب المملكة بأن هناك علاقة بين فن العمارة واحتياجات السكان. فعلى سبيل المثال تعد وظيفة المبنى والأساليب الإنشائية الداخلة في تركيبه محاورة مهمة بين فن العمارة واحتياج السكان، تتجلى في اختلاف الأنماط البنائية لمختلف عناصر القرية العمرانية. وحيث يعد النمط البنائي ذا أهمية في إبراز صورة العمارة المحلية، إنه يعد أيضاً قاعدة أساسية لتحليل تتبع أشكال العمران فضلاً عن تكوينه لأطر واسعة ومرنة تعد من أساسيات ارتباط العناصر العمرانية بعضها ببعض. وبالنسبة للعوامل الفعالة التي تدفع بالناس إلى انتقاء وتفضيل نمط عمراني معين

على آخر فهي غير معروفة أساساً. فقد تكون اعتبارات جمالية أو اقتصادية بحثة أو مسألة وظيفة أو نتيجة لموضع أو مناخ أو مزيج من هذه العوامل.

فالمحاورة بين فن العمارة واحتياجات السكان تتضح من خلال سمات العناصر العمرانية المرئية بالقرية وارتباطها مع بعضها بعضاً.

العناصر العمرانية المرئية بالقرية:

تمتاز كثير من المدن والقرى التقليدية بجنوب غرب المملكة بعناصر بؤرية في التكوين العمراني ذات أهمية خاصة للسكان كالمساجد والأسواق الأسبوعية والساحات العامة والقصبات ... إلخ. ودرءاً لغارات الأعراب وغزوات القبائل فقد صممت ووقعت القصبات بحيث شكلت المعلم البارز والنقطة البؤرية في عمارة البيئة الخارجية والتصميم العمراني للأحياء السكنية التقليدية. وقد شيدت المنازل متراسة في مجموعات مشكلة بذلك أحياء سكنية، وكأن تصميم كل مجموعة بمثابة مجاورة سكنية كما تبدو للمشاهد كأنها سور للقرية يعزز ذلك مبدأ التعاون المتبادل بين السكان، والذي كان فطرياً في حياتهم حماية لصالح أفراد المجتمع ككل.

وتعكس العمارة التقليدية في النسيج العمراني للقرية الطريقة التي صمم بها السكان الدروب المفضية إلى الحقول الزراعية والممرات المؤدية إلى الساحات والبرحات والأزقة التي تفضي إلى المساجد وعتبات المساكن. وكان تصميم شبكة الحركة بهذا الشكل نابعاً من الحاجة الحقيقية للاستعمال، وهذا مما حدا بالسكان إلى استخدام الأزقة والساباطات والفراغات العامة بين الأحياء السكنية كبرحات للاجتماع. ولقد تأثر الشكل البنائي للقرية بمزيج معقد من القوى الحضارية الخاصة بالمكان والزمان وبخاصة البيئة الطبيعية الجبلية، وسنستعرض فيما يلي العناصر الأساسية التي تميز العمران التقليدي في هذه القرى:

١ - المسكن:

تكمن العناصر العمرانية المرئية بالقرية في إبراز وتأكيد الهوية الذاتية للقرية من خلال تخطيط وتصميم تلك العناصر حيث تتصف القرية باتساق المساكن المتحقق باستخدام مواد الإنشاء الطبيعية والمهارات المحلية في البناء والزخرفة. وانتقل هذا التأثير إلى داخل المباني السكنية، حيث الغنى في التصميم الداخلي

والتنوع الزخرفي الذي تظهر فيه البصمات الفردية وخاصة النسائية تبعاً لاختلاف مستويات الدخل بما لا يتعارض مع تعاليم الشريعة الإسلامية، حيث استخدمت الأشكال الهندسية والبنائية بدلاً من التماثيل وأشكال المخلوقات الحية.

لقد عمد السكان في القرية إلى تأكيد هويتهم الذاتية في تصميمهم لمحيطهم العمراني، وبرعوا في ذلك إلى أبعد حد، وأبدعوا كفنانيين في المعمار. إن هذا الإنجاز ينبغي أن يشجع المخططين في الوقت الحاضر على الاستمرار في الحفاظ عليه كتراث حضاري محلي يؤدي بدوره إلى إثراء وتهديب وتجميل البيئة العمرانية المعاصرة للقرية. كما يعبر هذا التراث عن قدرة الفرد على إضفاء لمسات وبصمات شخصية على ما يحيط به. ويُعدُّ مكوناً أساسياً في تصميم العناصر العمرانية والتفصيلات المعمارية المميزة للمباني والأماكن .

٢ - المسجد:

يشكل المسجد في مضمونه نواة المجتمع، يلتحم مع بنائه وعمرانه ويتكامل مع خدماته الاجتماعية والتعليمية والثقافية والصحية، فهو جزء من كل مترابط وليس بناءً منفرداً أو منعزلاً (شكل - ١٤). والمسجد هو أول مكان يفكر به المسلم عند استيطانه مؤقتاً أو دائماً، لذا نجد أن المساكن تلتف حوله ليسمع ساكنوها النداء فيلبونه. فالمساجد في قرى جنوب غرب المملكة على صغر مساحتها تلبي احتياجات الجماعة من فراغ مستوٍ للعبادة يحميها من المطر، ومكان يطلق عليه الصوح حيث توفر (الفناء) تؤدي فيه الصلوات أثناء اعتدال الجو، وميضأة ومطهر (مكان استحمام)، وخزانات تجمع مياه الأمطار من سطح المسجد أو من خلال نظام إبداعي يدعى المطاليع، حيث يتم نقل المياه من الآبار عبر آبار انتقالية بواسطة السواني، كما هو الحال في قرية العكاس شمال مدينة أبها. وتحتوي أغلب المساجد على منزلة وهي غرفة لنوم وإقامة الغرباء وعابري السبيل، كذلك على مكان لتدريس النشء كما في مسجد آل ينفع.

ويتميز بناء المسجد بتقنية بناء خاصة تختلف عن بناء المساكن والمباني العامة حيث يستخدم الخشب في عمل دعائم رأسية (أعمدة) وافقية لتشكل فراغ مفتوح يسمح للمصلين بالتجمع في فراغ واحد دون الحاجة لفواصل. كما أن استخدام الحجر في بناء الجدران الخارجية يسمح بإضفاء صفة المتانة والحماية

لبيوت الله.^(٢٥) أما في الوقت الحاضر فقد بدئ بتطبيق بعض النماذج التي أعدتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وتم تنفيذ بعض المشاريع المميزة مثل مسجد قرية المفتاحة بأبها وقرية آل يزيد جنوبها، ومع إدخال تقنية الخرسانة المسلحة والأسمنت في أعمال البناء (الأشكال - ١٥، ١٦).

٣ - السوق الأسبوعي:

كانت الأسواق الأسبوعية وما تزال تقام في المناطق التي بها قرى وتجمعات سكانية كثيرة متقاربة، تربطها ببعض طرق ودروب آمنة كما في مناطق الإحساء والباحة وعسير.^(٢٦) ففي قديم الزمن كان تحرك السكان وانتقالهم صعباً بين القرى، واستمر ذلك حتى الماضي القريب فلم يكن ليربط القرى بعضها ببعض سوى دروب غير ممهدة تعبرها الجمال والحمير والبغال. فالسوق الأسبوعي عبارة عن فراغ مفتوح يقع بالقرب من المسجد الجامع للقرية، وتوجد في أحد أركانها بعض الدكاكين التي تستخدم كمخازن. ويختار موقع السوق في مكان يسهل الوصول إليه من القرى المجاورة، وتسهل حمايته من قبل السكان.

كان ولا يزال السوق الأسبوعي يعقد في يوم محدد بالأسبوع (شكل - ١٧) ويفد إليه السكان من القرى والقبائل المجاورة وتزاول فيه المعاملات التجارية وفق اتفاقيات السوق من بيع وشراء ومقايضة. كذلك الإعلان عن الأخبار وأي اتفاقيات بين القبائل أو نقض أو إلغاء لاتفاقيات سابقة. كما يتم الإعلان عن بداية فعاليات الأحمية لبعض أماكن الرعي أو الفكاك عن الحمى، حيث يقوم أحد الأفراد بالإعلان عن أن المكان الفلاني حمى للقبيلة لا يجوز دخول السائمة فيه أو الرعي فيه، حيث تترك النباتات تنمو وتزهو كذخر لسائمة القبيلة. وبعد مدة يعلن أحد الأفراد شرعية دخول الحمى في يوم معين، كما يلتزم السكان بحماية محتويات السوق لمدة ثلاثة أيام هي يوم السوق واليوم السابق له والذي يليه. وكان يتم تقسيم السوق إلى قطاعات يقوم على إدارة كل منها مشرف من السكان بهدف المساعدة في حماية السوق والمتسوقين، وكذا الترحيب بمرتادي السوق، إلى جانب إدارة شؤون السلع والبضائع وذلك نظير عمولة يحددها مجلس القرية.

كانت معظم المعاملات التجارية بالماضي مقايضة بالسلع والبضائع وقل ما كانت بالنقد. وحديثاً أخذت هذه الأسواق في الانحسار في ضوء تزايد نشاطات

التسوق اليومية وتوفر وسائل المواصلات والطرق التي سهلت الوصول إلى أسواق المدن والقرى المجاورة.

ونظراً لاهتمام العرب والمسلمين بالضيف فإن مجالس القرى قد نظمت شؤون الضيافة من خلال تعيين شخص أو أكثر يسمى المدوّل يتولى عملية ترتيب وتوزيع الضيوف في جميع الأيام وخاصة يوم السوق على البيوت، وذلك حسب حالة البيت الاقتصادية، فبعض البيوت يصل ضيوفها إلى مائة ضيف في الدورة الواحدة التي قد تمتد إلى عام كامل بينما آخر قد لا يزيد عن خمسة ضيوف.

٤ - المعشر أو بيت المال: (خزانة القرية)

بيت المال هو أحد عناصر المدينة الإسلامية حيث تُودّع جميع الأملاك العامة النقدية وشبة النقدية (أي الأموال التي يمكن نقلها وبيعها بالسوق الأسبوعي). وبيت مال القرية غالباً عبارة عن مبنى بدور واحد يقع في ساحة عامة وبالقرب من المسجد الجامع، ويتولى إدارته أمين يعينه شيخ القرية أو نائبه بمساعدة معشرين (الذين يتولون تجميع العشر من سكان القرية).

بيت المال هو خزانة الدولة في الإسلام، حيث كان المجتمع الإسلامي (وما يزال) يزاوّل نظاماً مالياً عاماً يسمى بالخزانة تجبى إليها الأموال من كل مصدر، ثم تخرج منها لتصرف في أوجه الإنفاق الشرعية، وكان لجميع المسلمين أسهماً متساوية في ذلك النظام المالي. وقديماً كانت الإيرادات تتألف من جباية الخراج وزكاة الأموال والثروة العامة والعشر من منتجات الأرض والماشية وديات القبيلة وتبرعات الأغنياء. توضع الإيرادات في الخزانة لتنفق في أوجه مخصوصة في مصالح المجتمع الإسلامي. وكان لكل مدينة خزانة توضع عادة في المسجد الجامع ويتولى القاضي أمر إدارتها.

وفي مجتمع جنوب غرب المملكة الزراعي والرعوي، طور الأهالي نظام تمويل حيث كان يؤخذ عشر الزروع ليخزن في بيت مال القرية (المعشر)، وكان يقوم على بيت المال معشرين يعينهم مجلس القرية، ويعين الشيخ أو نائب القرية أميناً له. وكانت العشور تباع في سوق القرية أو أحد الأسواق القرية، ويودع ريعها المالي في بيت المال (الخزانة) الخاصة بالقرية. ويتلقى المعشرون نسبة مئوية نظير عملهم يحددها مجلس القرية.

وكانت مسئولية المعشرين موزعة بالتساوي من بيع للحاصلات الزراعية وحفظ الغلة في الخزانة لتمويل نفقات والتزامات القرية الداخلية والخارجية، وتلك النسب خارجة عن الزكاة الشرعية للأموال التي جعلتها الشريعة طهرة للمال. وكان بيت المال مفتوحاً دائماً لمن يرغب في دفع زكاة أمواله مما يخفف عليه عبء توزيعها.

٥ - الأحياء السكنية:

عند تفحص مخطط القرية في جنوب غرب المملكة يستنتج أن القرية مقسمة إلى أحياء واضحة المعالم (شكل - ١٨). يسكن الأقدم منها العائلات التي هي أصل القرية، ويسكن الأقسام الأخرى أحفادهم أو من يفد على القرية من القرى المجاورة كما في حالة قرية العكاس شمال أبها، حيث نجد أن القرية مكونة من أربعة أحياء. فسكان كل حي جاء من مكان يختلف عن مكان سكان الحي الآخر. وعلى سبيل المثال فقرية آل الخلف تتكون من أحياء سكنية صغيرة تقدر باثني عشر، حيث القسم الشمالي يتكون من خمسة أحياء، ويسكنه أسر مطر بن خلف أحد أحفاد خلف بن يعلى البشري مؤسس القرية، بينما يتكون القسم الجنوبي من سبعة أحياء، ويسكنه أسر مبارك شقيق مطر بن خلف، وكل قسم له مسجد خاص به وساحات بين الأحياء. وتتراوح أعداد المباني السكنية ما بين الستين إلى مائة مسكن في كل قرية. وتتراوح ارتفاعات المباني من دورين إلى خمسة أدوار، وأغلب المساكن لها حوش أمامي وحوش خلفي، وبعضها لا يوجد لها فناء (الأشكال: ١٩-٢١). وتفتح بوابات كثير من المساكن مباشرة على الشارع وفي بعض الأحيان تفتح على الفناء ومن ثم إلى الشارع. وفي أجزاء من القرية يمكن مشاهدة تجمعات للمنازل من منزليين إلى أربعة منازل. كذلك يمكن مشاهدة بعض المباني المنعزلة خاصة في مناطق التنمية الحديثة بعد تأسيس المملكة واستتباب الأمن. وتتفاوت المسافات بين المباني في القرية من حي لآخر، ويبدو أن الكثافة السكانية تتركز في المناطق القديمة من القرية، إذ يلاحظ أن التقارب بين المباني والترصص العمراني في الترميمات الأولى للقرى كان متأثراً بالحالة الأمنية المضطربة، وعندما استقرت الحالة السياسية في المنطقة أخذ الشكل العمراني يتسم بالتباعد بين المباني وخاصة في التوسعات الجديدة.

يبدأ النمو السكني الأول في الأماكن الواقعة حول بيت مؤسس القرية، ومن ثم تنمو الحارات السكنية حيث تتحدد بمجموعة من العناصر كالممرات والساباطات

والأماكن المفتوحة والواجهات الملونة. وقد كانت أشكال المساكن مع تجمع السكان تكون بمجموعها نسقاً اجتماعياً مميزاً للموروث التقليدي. وللحفاظ على الأراضي الزراعية القيمة بالقرية فقد يأخذ العمران بالاتجاه ناحية أراضي الفضاء رغم صعوبة تضاريسها.

٦ - شبكة الممرات ونمط الساباط:

تمتاز القرية بجنوب غرب المملكة بوجود شريان رئيسي للحركة يربط أجزاء القرية، وتتعامد عليه شرايين خطية بعضها مغطى على شكل ساباط استغلت لحركة المشاة وانتقالها وكذلك لتحديد الأحياء السكنية. ولتفاوت نسب ارتفاع المباني وعروض الممرات والأزقة تأثير كبير على الإدراك الحسي والنفسي، إذ يصبح الإحساس الطاعني أثناء الحركة فيها هو شعور الاحتواء والحماية (الشكل - ٢٢). فالطرق والأزقة المسقوفة داخل المناطق السكنية تعمل كرابط يصل جميع أنحاء المنطقة السكنية بعضها ببعض.

انتشر نسق الساباط في معظم المجتمعات الإسلامية حيث تقوم المباني المرتبطة بساباط بتشكيل تتابع من الغرف بمثابة تغطية مستمرة، لها تأثير كالنفق فوق طريق أو ممر أو شارع. وقد أوضح "بسيم حكيم" الطرق التي يتخذها بناء نسق الساباط حيث يتم دعمه بإحدى الوسائل التالية:^(٢٦)

- ١ - دعم مباشر بواسطة الحوائط المتقابلة.
- ٢ - دعم عن طريق أعمدة تقام على جانب واحد وحائط في الجانب المقابل.

٣ - دعم بالأعمدة على الجانبين.

ويمكن التعرف على الفترة التي تنشأ فيها الساباط من خلال طريقة بنائه، وقد استغل هذا النسق بشكل وافر في القرية التقليدية بجنوب غرب المملكة اعتماداً على حقوق ومسئوليات الناس حيال بيئتهم العمرانية.

ومن ناحية المبدأ يبني الساباط على الارتفاع الذي لا يعيق مرور الركابين رواحلهم والمشاة والحمالين، إلا أنه يوجد في القرية في جنوب غرب المملكة ساباطات يصل ارتفاعها إلى أقل من مترين فوق الأرض (٨م) عند المداخل وذلك في محاولة

لعمل مصايد لإعاققة الغرباء والمغيرين أثناء الغارات والغزوات القبلية. وتعد القرية في جنوب غرب المملكة نموذجاً واضحاً تم فيه استخدام نسق الساباط والممرات نفقية الشكل لأغراض الدفاع حيث المداخل للساباطات تكون منخفضة بحيث لا تسمح للشخص العادي بالدخول دون الانحناء وخاصة إذا كان مسرعاً. كما توجد بعض الأخشاب المعترضة والتي لا يعرفها إلا أهل القرية والتي تعيق حركة الغريب أثناء محاولته الدخول للقرية.

ونسق الساباط في المجتمع الإسلامي رمز للتعاون القائم بين الجيران من منطلق التعاليم والأخلاق الإسلامية، وهو أكثر عنصر أفقي مميز في التكوين العمراني للقرية من حيث كثرة تواجده وطوله والوظيفة التي يقوم بها، حيث يمكن ملاحظة سابات طوله أكثر من خمسين متراً في قرية آل الخلف (شكل - ٢٣). وهناك ساباتات في بعض القرى ترتفع إلى ستة أمتار عن الطريق أي إنه يصل المستوى الثالث بين المساكن (شكل - ٢٤).

ويوفر الساباط فراغاً مغطى للمشاة يحميهم من حرارة الشمس والأمطار كما أنه يوفر مكاناً للعب الأطفال. فكون الساباط ملاذاً من المطر الموسمي وحر الشمس فهو أيضاً يقلل من الكسب الحراري داخل وخارج أماكن المعيشة، وكذلك يعمل كمخلخل للهواء حيث يقوم هواء الساباط البارد بضغط وتحريك هواء الطريق المفتوح لأنه أثقل منه.

٧ - القصبات والحصون: (أبراج المراقبة والدفاع)

أملت احتياجات الإنسان في قرى مرتفعات السروات إنشاء أبراج عالية يمكن من خلالها مراقبة القادم للقرية وتحذير السكان من أي خطر ممكن. يعكس المظهر المعماري الخارجي للنسيج العمراني للقرية ومحيطها بساطة ذلك المجتمع العربي الإسلامي. فالقصبات أعطت للقرية الأهمية بالتركيز على الارتفاع لأغراض المراقبة بالدرجة الأولى وكرمز للقوة والدفاع بالدرجة الثانية. فالقصبية الدائرية تشيد خارج البيئة المبنية للقرية بالقرب من الجرين (مكان هرس الحبوب) (شكل - ٢٥). أما القصبية المربعة فتشيد بجانب كل حي سكني (شكل - ٢٦). وتعد مباني القصبات جماعية الملكية، وكانت محدودة لأغراض دفاعية، أما في الوقت الحاضر فتستخدم مخازن للحبوب وتمثل معالم عمرانية مميزة.

٨ - البئر :

تعد منشآت البئر والسانية من أهم مصادر الحياة للقرية. فعن طريقها تسقى المزارع والمواشي ويتزود منها الساكن باحتياجاته من الماء، ويمكن اعتبارها نقاطاً بؤرية في التكوين الخارجي للبيئة وجميعها تساعد على التعرف على البيئة المحيطة. وينبغي اعتبارها منشأً يجسد مآثرة عمرانية يجب المحافظة عليها (شكل - ٢٧).

٩ - المدرجات الزراعية :

أثرت طبوغرافية الأرض على تشكيل الأراضي الزراعية والتي تأخذ طابع المدرجات، حيث تعامل الإنسان مع الطبيعة وشكلها لخدمته. فالأرض الزراعية تروى عادة أما من الآبار أو الكظام (عبارة عن سد حجري) أو العيون أو مباشرة من الأمطار. كذلك استفاد الإنسان من تضاريس الأرض لعمل الخلجان والقنوات التي تسقى الأرض التي تستزرع عثرياً (الاعتماد على سقي الامطار)، بينما شق السواقي لسقي الأرض التي تسقى من الآبار السطحية. فالمنطقة تتميز على بقية مناطق المملكة بمدرجاتها الجميلة كثيرة الخضرة والتي يندر فيها تماثل مدرج مع آخر (الأشكال: ٢٨-٢٩).

١٠ - المقابر: (المجنة)

المقابر مكان يتم تخصيصه من الأملاك العامة خارج بنية العمران لدفن الموتى، وفي بعض الحالات يتم تخصيص أكثر من مكان لدفن موتى القرية. فالمقبرة مكان له قدسيته وله آدابه التي شرعها الإسلام، فلا يجوز أن تتخذ مكاناً للعبور أو الزينة. وعندما يتم استغلال كامل الفراغ غالباً ما يحاط بسور ويخصص مكان آخر للدفن.

الخلاصة:

تنظيم القرية التقليدية في جنوب غرب المملكة فيه دروس قيمة لمخططي ومصممي البيئات العمرانية المعاصرة. من حيث الاستخدام الرشيد للأرض وتوزيع الفراغ بأبعاد ثلاثية للأغراض السكنية وغير السكنية. ويظهر التأثير الفاعل والنافع للتعاليم الإسلامية في تصميم المساجد والمقابر والفراغات داخل وخارج المساكن والأحياء السكنية مما يعكس نجاح النمط التقليدي في تلبية الاحتياجات الفراغية والنفسية للسكان.

تفتح هذه الدراسة قناة في مواجهة وحل مشكلات البيئة المعاصرة من حيث التخطيط والتصميم فيما يتعلق باستخدام الفراغ واتساق ترابطاته، كما تطرح هذه الدراسة مفاهيم عمرانية من الماضي لا تدعو إلى تقليدها، وإنما إفادة منها كمصدر وأرضية للتخطيط والتصميم. فعند تخطيط وتصميم البيئات العمرانية الجديدة في المملكة العربية السعودية، يجب عدم الركون إلى مفاهيم مستوردة بل ينبغي إبراز السمات الثقافية المحلية والاعتبارات المناخية والتقنية، والاستجابة لاحتياجات الناس، وتأكيد الشخصية المحلية لتلك البيئات العمرانية، والإفادة من الشواهد البيئية المثالية في البيئات العمرانية التقليدية والمتوافقة مع الوسائل الحديثة في التخطيط الحديث للمدن والقرى.

وقد تسبب مفهوم الحداثة في التخطيط والتصميم في تشويه فن العمارة المحلية مما دعا كثيراً من المعماريين أو فلاسفة العمارة إلى تكثيف النقد على العمارة الحديثة والمناداة بالرجوع إلى فن العمارة المحلية وإلى العمارة البيئية، واعتبار العمارة كعلم وفن يجب أن يتفق مع البيئة الطبيعية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية، ويتلاءم معها، لا أن يخربها.^(٢٧) وأن تكون العلوم والهندسة والاقتصاد في خدمة فن العمارة والإنسان وليس العكس، خاصة أن هذه العلوم وُجدت بواسطة الإنسان.

يحمل تكوين القرية في ثنائيه استجابة لاحتياجات السكان الاقتصادية، وذلك في اختيار موقعها قريباً من الأراضي القابلة للزراعة. كما أن تصميم وتخطيط القرية يتلائم مع الاحتياج للدفاع ضد غارات الأعراب والغزوات القبلية. ورغم أن القرية غير مسورة إلا أن تراص المباني السكنية يوحي بأن القرية مسورة، ويلبي الموضع الذي اختير لإنشاء القرية آمال وطموحات أوائل من سكنها في توفير قاعدة أمنية واقتصادية مستجيبة لاحتياجاته. وكان من جراء حماية الأراضي الزراعية والحفاظ عليها أن تقاربت القرية ككل خاصة اجتماعياً ومن ثم عمرانياً.

ولقد تطورت القرية كتعبير واضح للأهمية النسبية المعلقة على الجوانب الحياتية المختلفة، فالتكوين العمراني هنا يعبر عن حقيقة مؤداها، أن السكان كانت تجمعهم عموماً أهدافاً وقيماً حياتية اتفقوا على قبولها والعمل على تحقيقها.

وتوفر القرية التقليدية صورة حية للسمة العمرانية والمعمارية في الجزء الجنوبي الغربي للمملكة العربية السعودية حيث يشاهد في الشكل العمراني لها التدرج في الوظائف والعناصر، والعامل الإنساني ماثل في مقياس جميع العناصر والوظائف عبر تنظيمها ونسقتها التسلسلي، مما يؤكد أن الشكل العمراني للقرية قد وفر أرضية صلبة للفهم الواضح للتدرج الوظيفي للعناصر العمرانية منها. ومن المفيد هنا أن نرصد التغيرات والتطورات في الشكل العمراني للبيئة التقليدية بهدف تطوير آراء ووجهات نظر تخطيطية مناسبة.

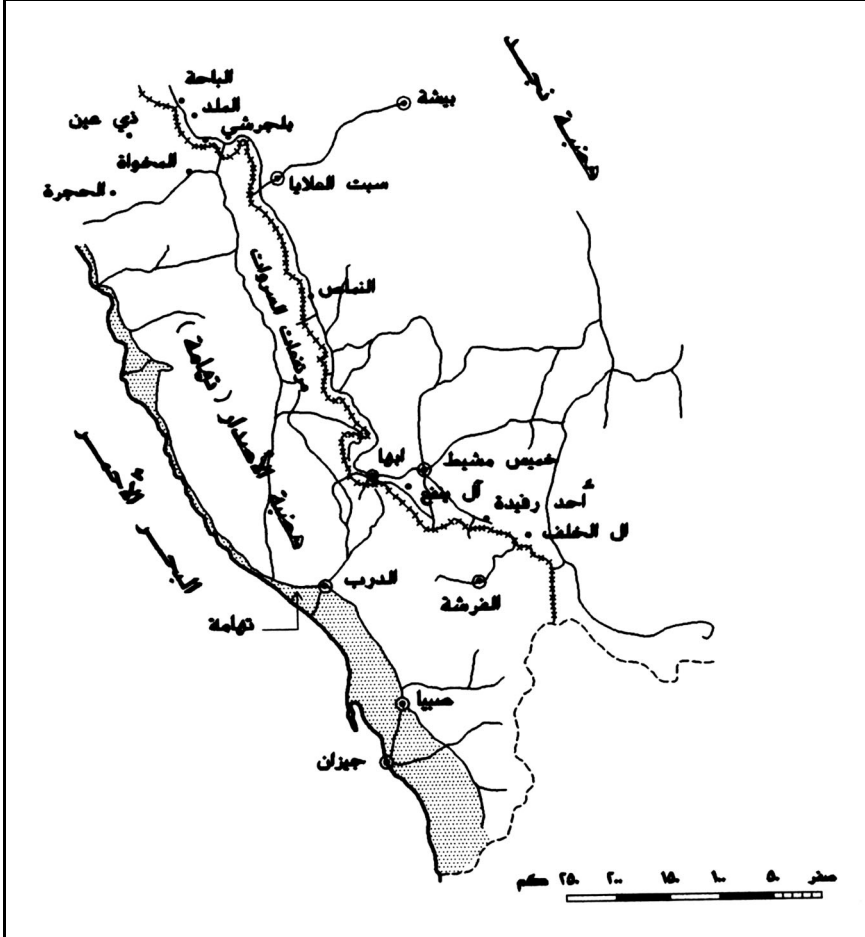
لقد كانت العلاقة بين السكان ومساكنهم علاقة تكافلية (تعايشية)، فالعمارة التقليدية لا تدعو إلى طراز معماري جامد لا يتغير بل بها من المرونة ما يقبل التغيير عندما تدعو الحاجة لذلك. ويمكن اعتبار استمرارية مفاهيم النسيج العمراني التقليدي من خلال تقارب المباني عاملاً آخر لزيادة العلاقات المباشرة والاتصال والتضامن الاجتماعي مما يدل على تكوين نسق اجتماعي قوي يعزز إحساس الانتماء للمنطقة. وهذا كله نحن بأمس الحاجة إليه في بيئتنا وعمارتنا المعاصرة. وما يشاهد من غابات ومصاطب زراعية خضراء جميلة بالقرب من القرية يرمز لحسن استغلال السكان للطبيعة والأرض في تأمين مورد اقتصادي يدعم استمراريتهن. تزودنا نتائج هذه الدراسة هنا بدروس أساسية تدعم سعيها لإيجاد منهج ملائم لخلق بيئة عمرانية متكيفة ومستديمة، تستند إلى بعض من المفاهيم الإيجابية للعمارة المحلية التقليدية التي برهنت من خلال استمراريتهها على نجاحها في توافقه البيئي وفي تلبية احتياجات السكان.

المراجع

- ١ - مصلى، محمد سعيد وشاكر، فريد أمين ومنديلي، عمر عبد الله، (١٩٧٧م). التعرف على النمط العمراني في المملكة العربية السعودية: الإقليم الأوسط، لندن #1 ART, AND ARCHAEOLOGY RESEARCH PAPER
- ٢ - فارسي، محمد سعيد (١٩٨٣م) تطور النسيج العمراني لمدينة جدة القديمة، في كتاب "ندوة المدن السعودية: انتشارها وتركيبها الداخلي" تحرير أسعد عبدة وآخرين، الرياض: عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود ص ٣٧٩ - ٤٠٨.
- ٣ - آل زلفة، محمد بن عبد الله، ١٤١٥هـ لمحات عن العمارة التقليدية في منطقة عسير. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية.
- ٤ - النويصر، محمد بن عبد الله (١٤١٩هـ) خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)، الرياض: دار الملك عبد العزيز.
- ٥ - Hakim, B. S (1986) Arabic-Islamic Cities: Building and Planning Principles (London: KPI Ltd.,).
- ٦ - الهذلول، صالح بن علي (١٤١٤هـ) المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، الرياض: دار السهن.
- ٧ - أكبر، جميل عبد القادر (١٤١٢هـ) عمارة الأرض في الإسلام، جدة: دار القبلة الإسلامية.
- ٨ - إبراهيم، حازم (١٤٠٦هـ) الارتقاء بالمناطق التاريخية، في كتاب الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن، إعداد مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة.
- ٩ - الحصيني، عبد الرحمن عثمان (١٩٨٩م) نحو مفاهيم عمرانية أصيلة: ظاهرة أشيقر، في ندوة "نحو مفاهيم بديلة ومبادئ مستقبلية للعمارة والعمران في العالم العربي المعقودة في تونس في الفترة من ١٨ إلى ٢١ نوفمبر".
- ١٠ - Bianca, Stefano (2000) Urban Form in the Arab World; Past and Present, London: Thames & Hudson.

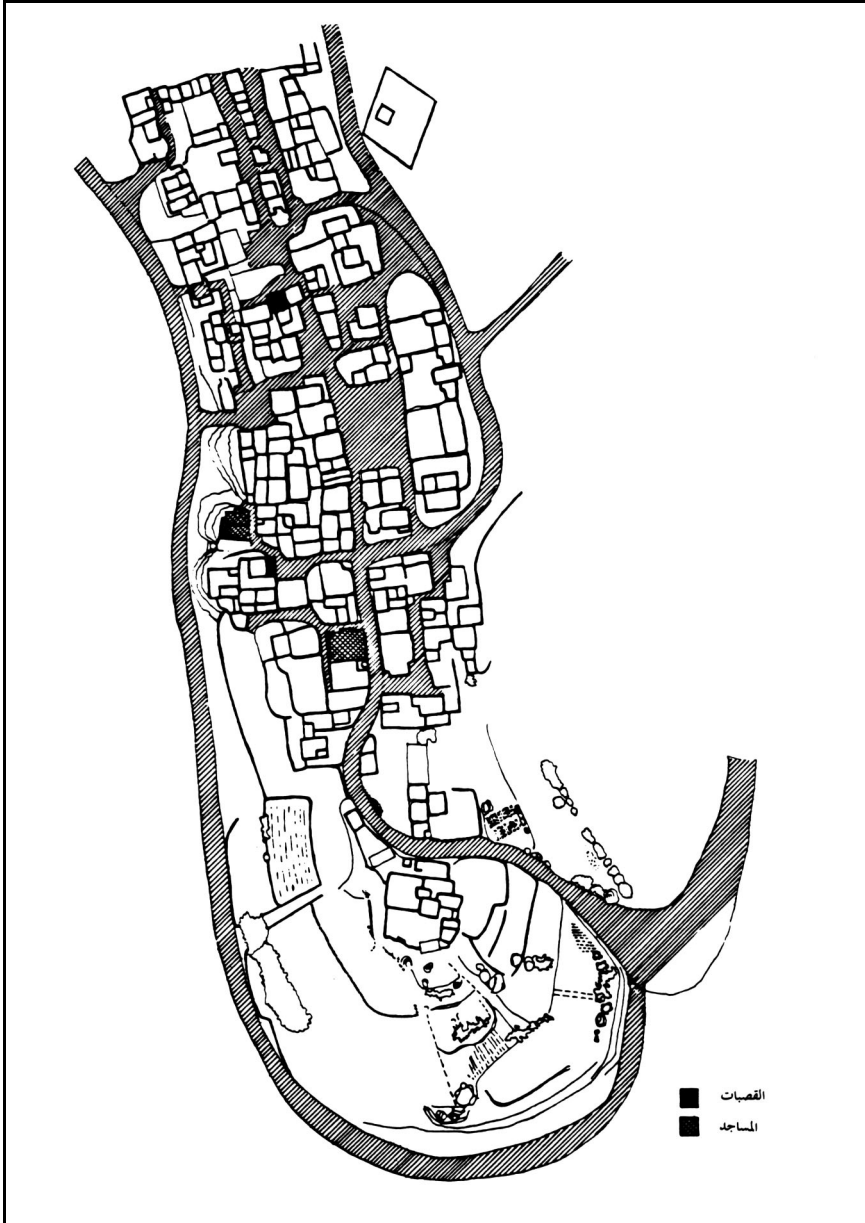
- ١١ - Rapaport, A (1990), The Meaning of the Built Environment (A Nonverbal Communication Approach). Tempe: University of Arizona.
- ١٢ - ماجد، إبراهيم عيسى (١٩٨٥م)، المتغيرات في عمارة المسلمين المعاصرة وثوابتها، المهندس، يوليو - ديسمبر، ص ص. ٢٧ - ٣١ .
- ١٣ - مصطفى، أحمد فريد (١٩٧٠م) إمكانية تحقيق مقومات ومبادئ المدينة العربية الإسلامية في التخطيط العمراني المعاصر، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني لمنظمة المدن العربية بالبحرين ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
- ١٤ - Abu-Ghazzah, Tawfiq M (1995) Domestic Building and the Use of Space: Al-Alkhalaf Fortified Houses - Saudi Arabia, Vernacular Architecture, Vol.26, pp. 1-17.
- ١٥ - ابن صالح، محمد عبد الله. (١٤١٦هـ) "عمارة المساجد في المناطق المعزولة: قرية آل الخلف. حالة دراسية". مجلة جامعة الملك سعود (العمارة والتخطيط)، ٨، ٤٥-٦٧ (باللغة الإنجليزية مع ملخص باللغة العربية).
- ١٦ - البشري، نائف بن صالح، (١٤١٣هـ) "التغيرات البيئية في قرية آل الخلف ببني بشر قحطان. بحث نال به المؤلف درجة البكالوريوس بالجغرافيا، جامعة الملك سعود فرع أبها.
- ١٧ - مهران، على (١٩٩٨م) البيئة العمرانية والهوية المنشودة، الإسكان، العدد ٤٩ السنة الثامنة عشر، أكتوبر ١٩٩٨م، ص ص ٢١-٢٦ .
- ١٨ - الطاشكندي، فرحات خورشيد. (١٩٩٤م) التراث والمعاصرة في العمارة: تعريف، ندوة الحفاظ على التراث العمراني الخليجي المميز، ١-٣ أكتوبر، الدوحة، قطر .
- ١٩ - الشعيبي، على محمد (١٤١٧هـ) تأثير التراث في مستقبل العمران، أمسية العمارة والتراث، المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) بالرياض.
- ٢٠ - عزب، خالد محمد مصطفى (١٤١٨هـ) تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة: سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، العدد ٥٨.

- ٢١ - Rosenthal, Carl Albert (1992), In what style should we build: The German debate on Architectural style, 1844, Translated by Wolfgang Herrmann, published by Getty center for the history, art and humanities, Santa Monica, Ca.,.
- ٢٢ - Abu-Ghazze, Tawfiq M (1994), Human Purposes and the Spatial Formation of Open Spaces, Al-Alkhalaf, Saudi Arabia, Architecture and Behavior, Vol.10, No.2, pp. 169-188.
- ٢٣ - De Camp, L. Sprague (1966), The Ancient Engineers, Burndy Library, Norwalk, CT, USA.
- ٢٤ - Mills, Glen (1992), The Spatial structure of ideology in informal settlements: A Case Study in Southern Africa, Building and Environment, Vol 27, No. 1, pp. 13-21.
- ٢٥ - العسيري، أنور محمد خليل (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م). لمحة عن بعض المساجد الأثرية في عسير. بيار: ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي، العدد الثالث، ص.ص ٣٠-١٣٩.
- ٢٦ - Mansouri, Abd (1977). Periodic Markets in the South - Western Region of Saudi Arabia: A Study in Human Geography". Unpublished Masters Thesis, Michigan State University, USA.
- ٢٧ - البراهيم، محمد حسين (١٤١٠هـ)، انتقادات للعمارة الحديثة في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود (العمارة والتخطيط) المجلد ٢، ص.ص: ٦٣ - ٨٠ (باللغة الإنجليزية وملخص باللغة العربية).



الشكل رقم (١): مخطط مناطق جنوب غرب المملكة الأربع:

- ١- المنطقة الانتقالية باتجاه هضبة نجد (شرقاً).
- ٢- منطقة السراة (وسط).
- ٣- منطقة الأصدار (المنطقة الانتقالية باتجاه تهامة غرب).
- ٤- منطقة تهامة (المنخفضة والمحاذية للبحر الأحمر).



الشكل رقم (٢): مخطط قرية العكاس شمال مدينة أبها يوضح العناصر العمرانية:
(المساجد، القصبات، المساكن، الطرق والممرات)



الشكل رقم (٣): تتميز البيئة الطبيعية والمبنية لقرية بجنوب غرب المملكة بتشكيل تضاريسي حتم موقع القرية جوار الوادي والتي يوضحها المنظر البانورامي حيث المزارع على جنبات الوادي والمباني على حافة حرف الوادي مرتفعة فوق حوض الوادي.



الشكل رقم (٤): تحدد التشكيلات الطبوغرافية لمواقع القرى بجنوب غرب المملكة الطابع العمراني وأسلوب البناء، ففي الأماكن المرتفعة وعلى قمة جبل الملد بنيت القرية بحصنها المميزين خلف المنزل والمنازل ذي الطابع المتدرج.



الشكل رقم (٥): حتمت وعورة التضاريس لموضع قرية الملد القديم بناء امتداد القرية على سهل غير متصل بالبنية الأولى للقرية مما أعطى صفة بصرية لها ميزتها عن غيرها.



الشكل رقم (٦): سخر الإنسان في وادي تمنية (شمال شرق قرية آل ينفع) الطبيعة لتكون داعمة للقاعدة الاقتصادية والتي يمكن تمييزها بتسوية الأرض على سفح الجبل والبناء عليه واستغلال الوادي للزراعة.



الشكل رقم (٧): تشكل الساحة (المناطق المفتوحة) الرثة للتجمعات السكنية المتراسة في قرى جنوب غرب المملكة حيث يجتمع الأهالي في الأعياد والأفراح والأحزان وغالباً ما تكون عند مدخل القرية والمسجد الجامع وسوق الأسبوع.



الشكل رقم (٨): تتميز مباني جنوب منطقة السراة بمعالجات مناخية للمباني وذلك بحماية الجدران بالرقف الذي هو عبارة عن رقائق حجرية بين مداميك الطين.



الشكل رقم (٩): تفصيل للرقف بين المداميك.



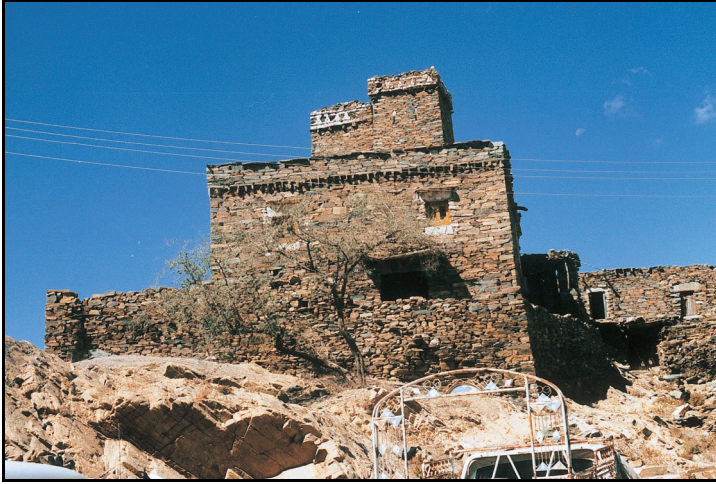
الشكل رقم (١٠): يستخدم المرزح أو السطاع (العمود الخشبي الدائري) والمعادل (الجسور الخشبية) والسواري الخشبية المتعامدة عليها في حمل الأسقف للفراغات المفتوحة مثل المساجد أو المجالس الكبيرة أو المخازن.



الشكل رقم (١١): تستخدم الألوان الطبيعية لمواد البناء أو الزخرفة
في تجميل مباني القرية الخاصة وإعطاء صورة مميزة لها.



الشكل رقم (١٢): تقوم المرأة في مناطق جنوب غرب المملكة بزخرفة منزلها من الداخل باستخدام أشكال هندسية وألوان من الطبيعة وذلك إسهاماً منها في إضفاء لمسة جمالية داخل المنزل.



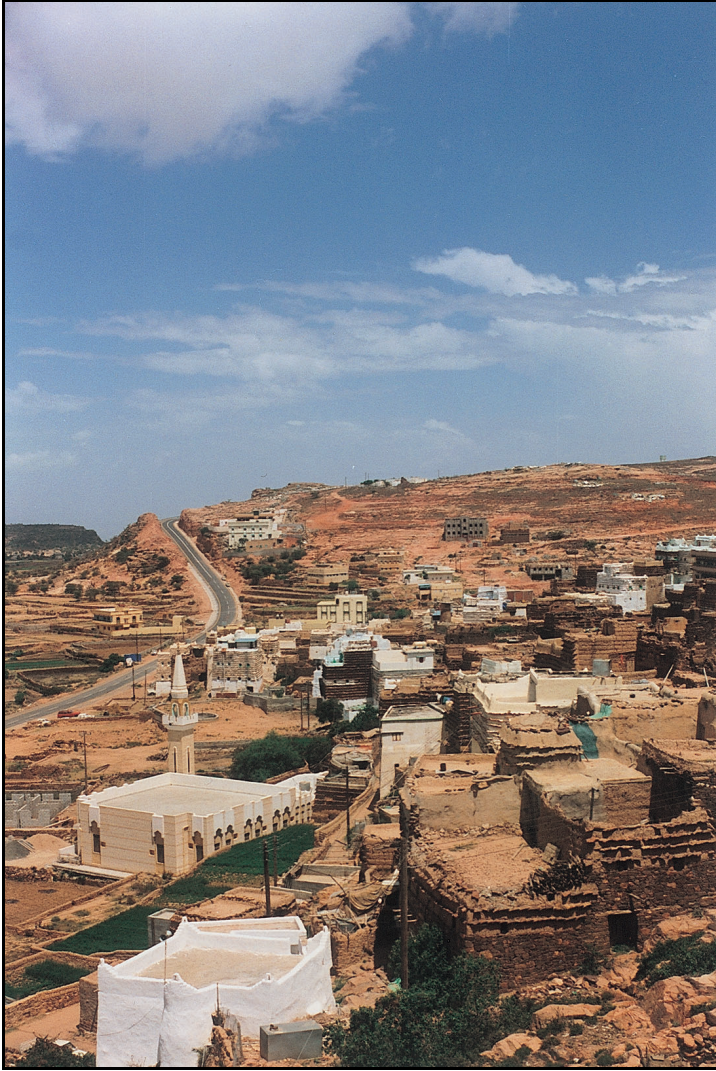
الشكل رقم (١٣): تتميز المباني الحجرية في شمال منطقة السراة ومنطقة الأصدار بتناسق الألوان ويقوم مهرة البناء باستخدام تشكيلات من المرو الأبيض في بعض أجزاء الواجهة لكسر حدة اللون الموحد للمبنى.



الشكل رقم (١٤): يشكل المسجد في القرية بجنوب غرب المملكة نواة القرية، والصورة توضح مسجد الحي في القرية حيث يتم بناؤه بالحجر رغم أن المساكن تكون مبنية من مداميك الطين وأحجار الرقف.



الشكل رقم (١٥): يتميز المسجد الجديد بقرية المفتاحة بالتشكيل الخارجي للمئذنة ذات الرقف والارتفاع.



الشكل رقم (١٦): حلت الخرسانة المسلحة محل الحجر في بناء المساجد،
وسادت المآذن على خطوط وأسماء القرى في جنوب غرب المملكة،
والصورة توضح مسجد الجمعة الجديد بقرى آل ينفع.



الشكل رقم (١٧): تتميز أغلب القرى بجنوب غرب المملكة بتواجد الأسواق الأسبوعية والذي يؤكد تميزها عن غيرها، والصورة توضح ساحة البسطة بقرية آل الخلف والذي كان فيما مضى سوقاً للجمعة.



الشكل رقم (١٨): تتميز القرية بجنوب غرب المملكة بتراس المباني وتشكيلها وتوجيهها إلى مناظر الأرض الزراعية.



الشكل رقم (١٩): تتراوح ارتفاعات مساكن قرى مرتفعات السروات ما بين دورين وخمسة أدوار وذلك تلبية لاحتياج الساكن من الفراغ المعطى.



الشكل رقم (٢٠): طغت الخرسانة المسلحة على نمط التشييد للمباني الجديدة في القرية في جنوب غرب المملكة.



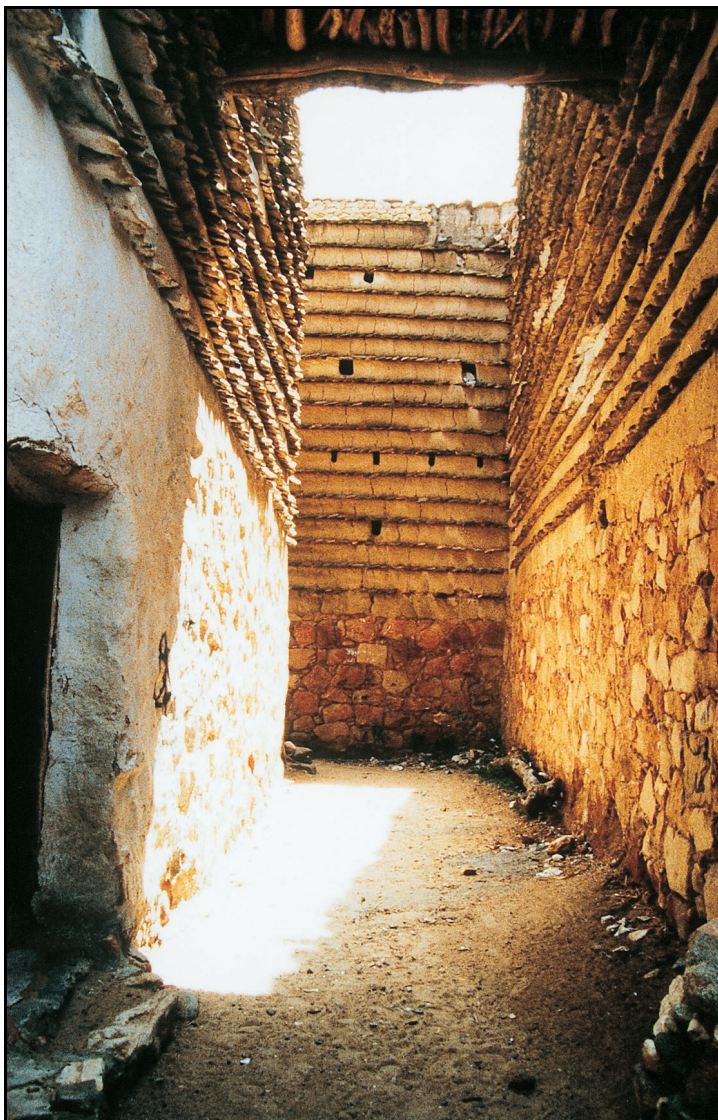
الشكل رقم (٢١): مدخل الحوش الخلفي لأحد البيوت في قرية آل الخلف
يوضح نظام التشييد للأسوار وهو عبارة عن حجر وردي دون مونة لاصقة.



الشكل رقم (٢٢): تتميز الطرقات داخل أحياء القرية بالتعرج والبروزات للمباني التي تتراءى للزائر لأول وهله بالفوضوية، لكنها تدل دلالة واضحة على تسامح وترابط اجتماعي بين سكان القرية.



الشكل رقم (٢٣): تتميز البيئة المبنية للقرية في جنوب غرب المملكة
بنمط عمراني مميز يتضح في استخدام الساباط (الممر المغطى)
والذي يصل إلى أطوال تزيد عن ٥٠م.



الشكل رقم (٢٤): استفاد الساكن من تغطية الطرقات بإضافة فراغ سكني
يربط بين مبنيين حتى لو على مستوى مرتفع مثل ما نراه في الصورة
حيث يربط الساباط بين المستوى الثالث بين المبنيين.



الشكل رقم (٢٥): القصبّة الدائرية أحد أهم العناصر المبنية
في الفراغ الزراعي المحيط بالقرية حيث يلجأ لها المزارعون وقت الخطر
ويدافعون عن محاصيلهم وعن قريتهم.



الشكل رقم (٢٦): القسبة المربعة أحد أهم العناصر المبنية داخل القرية حيث تسيطر بصرياً بارتفاعها على بنية القرية ككل، ومن خلال هذه القسبة يمكن التحكم والدفاع عن القرية.



الشكل رقم (٢٧): يشكّل البئر الواحد مصدراً أساسياً لكثير من المزارعين الذين يتولون حفره وصيانته والاشتراك في مخزون مياهه، والصورة توضح أحد الآبار المهجورة في إحدى القرى.



الشكل رقم (٢٨): سخر الإنسان وعورة التضاريس في خلق مدرجات مستوية على شكل مصاطب وذلك لأغراض الزراعة العثرية التي تعتمد أساساً على مياه الأمطار والتي توضحها الصورة.



الشكل رقم (٢٩): أحد المزارع العثرية التي استخدمت فيها التدرجات الشاقة والتي توضح مدى اهتمام الإنسان في تسخير البيئة الطبيعية لصالحة.